



العدد الخامس والثلاثون/شوّال - ذو الحجة ١٤٣١هـ .اكتوبر - ديسمبر ٢٠١٠م

٣٥

- أثر العناصر المناخية في نشأة العواصف الرعدية وتطورها في المدينة المنورة
- الشخصية النسائية في روايات الروائيين المدنيين
- رزين بن معاوية: حياته وآثاره
- مدرسة العلوم الشرعية: المؤسس والمؤسسة

مضامين عقدية في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾

د. سليمان بن سالم السحيمي
الأستاذ المشارك في كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

معنى المثل: يقال: مَثَل، ومِثْل، كشَبَه، وشِبْه[(١)]، ومثيل كشبيه[(٢)].

جاء في لسان العرب: "الشَبَه، والشِبه، والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ ماثله"[(٣)].

وجاء في مختار الصحاح: "المثل كلمة تسوية؛ يقال: هذا مثله، ومثله، كما يقال: شِبْهه، وشبهه"[(٤)].

فالمثل مأخوذ من المماثلة أي المشابهة (فإذا قيل هو مثله على الإطلاق بدون تقييد فمعناه يسد مسده، فإذا قيد فقيل مثله في كذا فهو مساوٍ له في هذه الجهة)[(٥)].

---

(١) الصحاح للجوهري، مادة: مثل.

(٢) انظر: تاج العروس للزبيدي (١١٠/٨).

(٣) لسان العرب لابن منظور، مادة: "مثل".

(٤) مختار الصحاح للرازي (٦١٤).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٩٦/٥).



فلا يلزم من المماثلة المشابهة من كل وجه؛ لأنه قد يشبه المشبه به في كل الوجوه وهذه المماثلة التامة، وقد تكون المماثلة في بعض الوجوه أو في معنى أو صفة أو حال يشتركان فيه.

وفي ذلك يقول الفيروزأبادي: "**وقد يستعمل المثل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني، أي معنى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة**"[١].

وقد وردت الشواهد في ذلك، ومنها:

أعاقر مثل ذات رحم ... أو غانم مثل من يخيب[٢]

وفي التنزيل كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾سورة الجمعة، الآية (٥).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ سورة آل عمران، الآية (٥٩).

وفي السنة كقوله ﷺ: "**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة**"[٣].

وقوله ﷺ: "**مثل الذي يذكر، والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت**"[٤].

وفي تقرير ذلك يقول الراغب الأصفهاني: "**والمثل يقال على وجهين: أحدهما: بمعنى المثل، نحو شبه، وشبه... والثاني: عبارة عن المشابهة**

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤/٤٨١).

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص الأسدي (١٢)، تحقيق د/ حسين نصار.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك (٤/٣٢٣) ح (٢١٠١) الصحيح مع الفتح.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات فضل ذكر الله عز وجل (٥/١٣٢) ح (٦٤٠٧) الصحيح مع الفتح.



لغيره في معنى من المعاني"(١).

إذاً المَثل والمِثل بمعنى الشبَه والشِبه أي النظير المشابه سواء كانت المشابهة والمماثلة في معنى أو أكثر(٢).

سبب نزول الآية ومعناها:

يجمع أهل التفسير على أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ سورة آل عمران، الآية (٥٩)، نزلت احتجاجاً للنبي ﷺ على الوفد من نصارى نجران الذين حاجوه في عيسى عليه السلام(٣).

قال الواحدي: **"قال المفسرون: إن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا؟، قال: وما أقول؟، قالوا: تقول إنه عبد، قال: "أجل إنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول"، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فإن كنت صادقاً فأرنا مثله، فأنزل الله ﷻ هذه الآية"**(٤).

وقد أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: **"أن رهطاً من أهل نجران قدموا على محمد ﷺ وكان فيهم السيد والعاقب**(٥)، **فقالوا**

---

(١) المفردات للراغب (٤٦٢).

(٢) انظر مزيد بيان عن المثل في "الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله" د/عبد الله الجربوع (٥٠/١-٧٠).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٨٢/٧)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي (٢٧٩/٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٨٥/١).

(٤) أسباب النزول (٨٩)، وانظر: تفسير البغوي (٣٠٩/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٦/٤)، والدر المنثور للسيوطي (٦٦/٢).

(٥) السيد اسمه الأبهم، ويقال: شرحبيل، وكان صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيسهم، والعاقب اسمه عبد المسيح، أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم، انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٥٧/١)، والسيرة لابن هشام (٥٧٣/١)، وفتح الباري (٩٤/٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لمحمد: ما شأنك تذكر صاحبنا؟، فقال: من هو؟ قالوا: عيسَى، تزعم أنه عبدُ الله، فقال محمد: أجل، إنه عبد الله، قالوا له: فهل رأيت مثلَ عيسى، أو أنبئت به؟، ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل عليه السلام بأمر ربِّنا السميع العليم، فقال: قل لهم إذا أتوك: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾، إلى آخر الآية"[1].

وجاء عن الحسن البصري والأزرق بن قيس أنه: "**جاء أسقف نجران والعاقب إلى رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فقالا: قد كنا مسلمين قبلك، فقال رسول الله ﷺ: كذبتما منع الإسلام منكما ثلاث: قولكما اتخذ الله ولداً، وسجودكما للصليب، وأكلكما لحم الخنزير، قالا: فمن أبو عيسى؟، فلم يرد عليهما، فأنزل الله ﷻ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾...الآية**"[2].

ورويت هذه القصة على وجوه عن جماعة من التابعين[3].

أما معنى الآية:

"فيخبر تعالى محتجاً على النصارى الزاعمين لعيسى عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكاً لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة فضلاً أن يكون حجة؛ لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق

---

(١) تفسير الطبري (٣/٢٩٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٠٦).

(٢) العجاب في بيان الأسباب لابن حجر (٢/٦٧٩، ٦٨١)، وانظر: أسباب النزول للواحدي (٨٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٩٣-٢٩٤)، والعجاب لابن حجر (٢/٦٧٩-٩٨٢)، وفتح القدير للشوكاني (١/٣٤٧).

وانظر خبر وفد نجران في صحيح البخاري - مع الفتح - (٨/٤٣) ح (٤٣٨٠)، والسيرة لابن هشام (١/٥٧٣)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١/٣٥٧)، والبداية والنهاية (٥/٥١).



والتدبير، وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدل، وعلى أن أحداً لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا من أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح إدعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى"[1].

قال ابن كثير: **"وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ وقال ههنا: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ أي: هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه"**[2].

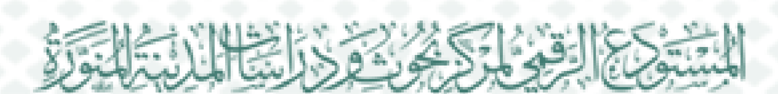
قال الشوكاني: **"وقوله: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾، جملة مفسرة لما أبهم في المثل: أي أن آدم لم يكن له أب ولا أم، بل خلقه الله من تراب، وفي ذلك دفع لإنكار من أنكر خلق عيسى من غير أب مع اعترافه بأن آدم خلق من غير أب وأم، قوله: ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، أي كن بشراً فكان بشراً، وقوله: ﴿ فَيَكُونُ ﴾ حكاية حال ماضية"**[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (١٣٣)، طبع مؤسسة الرسالة.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٤٨٠).

(٣) فتح القدير (١/٣٤٦).



وقال ابن جرير الطبري: **فلما كان في قوله: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، دلالةٌ على أن الكلام يرادُ به إعلام نبي الله ﷺ وسائر خلقه أنه كائن ما كوّنه ابتداءً من غير أصل ولا أوّل ولا عُنصر، استغنى بدلالة الكلام على المعنى، وقيل: ﴿فَيَكُونُ﴾، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى"**[١].

وقال ابن إسحاق: "**ليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من خلق آدم بلا أنثى، ولا ذكر**"[٢].

فشأن عيسى عليه السلام وحاله الغريبة كشأن آدم وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس[٣].

وهو من الأمثال التي ضربها الله عز وجل المتضمنة تشبيه الشيء بنظيره، والتسوية بينهما في الحكم.

قال ابن القيم: "**ضرب الله الأمثال وصرفها في الأنواع المختلفة وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به**"[٤].

والأمثال من أقوى أساليب الإيضاح والبيان وإبراز المعقول في صورة المحسوس، وهذا من أحسن ما يرد به على المشركين في إبطال عقيدتهم وقياسهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة.

وجه المثلية بين عيسى وآدم عليهما السلام:

كما تقدم في معنى الآية أن شأن عيسى عليه السلام وحاله الغريبة كشأن آدم،

---

(١) تفسير الطبري (٣/٢٩٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٩٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٠٦)، والسيرة لابن هشام (٢/١٩٤-١٩٥).

(٣) الكشاف للزمخشري (١/٥٥).

(٤) إعلام الموقعين (١/١٣٠).



فكما أن آدم عليه السلام لم يكن ابناً لله ولم يكن له من البشر أب فكذلك عيسى عليه السلام. فصفة وجود كل من آدم وعيسى عليهما السلام من غير أب هو المقصود من المثلية ووجه الشبه بينهما[١].

قال أبو حيان: "**والعرب تضرب الأمثال لبيان ما خفي معناه ودق إيضاحه، ولما خفي سر ولادة عيسى من غير أب، لأنه خالف المعروف، ضرب الله المثل بآدم الذي استقرّ في الأذهان، وعلم أنه أوجد من غير أب ولا أمّ، وكذلك خلق عيسى بلا أب، ولا بد من مشاركة معنوية بين من ضرب به المثل، وبين من ضرب له المثل من وجه واحد، أو من وجوه لا يشترط الاشتراك في سائر الصفات، والمعنى الذي وقعت فيه المشاركة بين آدم وعيسى كون كل واحد منهما خلق من غير أب**"[٢].

وبهذا يعلم أن الصفات الأخرى التي اشتركا فيها غير مقصودة، كما أنه لا عبرة بالصفات التي افترقا فيها، كمخالفة آدم عيسى عليهما السلام في أن المسيح له أم، وآدم لا أب ولا أم له.

قال الشوكاني: "**ولا يقدح في التشبيه اشتمال المشبه به على زيادة وهو كونه لا أم له، كما أنه لا أب له، فذلك أمر خارج عن الأمر المراد بالتشبيه، وإن كان المشبه به أشد غرابة من المشبه وأعظم عجباً وأغرب أسلوباً**"[٣].

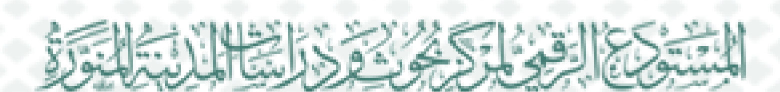
ويقول القرطبي عند تفسيره للآية: "**دليل على صحة القياس، والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب،**

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (٨٢/٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٠٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٢٣/١)، وفتح القدير للشوكاني (٣٤٦/١).

(٢) البحر المحيط (٤٧٧/٢).

(٣) فتح القدير (٣٤٦/١).



والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد، فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينهما أنهما خُلِقا من غير أب"[(١)].

وفي ذلك يقول الزمخشري: "فإن قلتَ: كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم من غير أب وأم ؟، قلتُ: هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به، لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، ولأنه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم، وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه"[(٢)].

دلالة الآية على بطلان دعوى النصارى أن المسيح ابن الله:

تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام ابن الله لأنه ولد من غير أب، وقد ذكر الله عز وجل كفرهم بهذه المقولة فقال جل وعلا: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة، الآية: ٣٠ .

وقد استعمل هذا اللقب عن يسوع المسيح أنه ابن الله في العهد الجديد ما يقرب من "٤٤" مرة[(٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦٦/٤).

(٢) الكشاف (٤٣٣/١).

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس (١٠٨).



قال الرازي عند تفسير الآية: "**وكان من جملة شبههم أن قالوا: يا محمد لما سلمت أنه لا أب له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله تعالى، فقال: إن آدم ما كان له أب ولا أم، ولم يلزم أن يكون ابناً لله تعالى، فكذا القول في عيسى عليه السلام.**

وأيضاً: إذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم، بل هذا أقرب إلى العقل، فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس"[(١)].

فالآية تقرر بشرية المسيح عليه السلام في أصل خلقته، وأنه إنسان مخلوق خلقه الله سبحانه وتعالى كما خلق آدم من تراب، إضافة إلى ما ذكره الله عز وجل في غير ما آية بأنه عبد من عباد الله، قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾، النساء آية (١٧٢).

وقال تعالى: "﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾، مريم، آية (٣٠)، يقول ابن كثير: "**أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه**"[(٢)].

وفي تقرير ما اتصف به عليه السلام من الصفات البشرية الدالة على نقص المخلوق واحتياجه إلى خالقه ما ذكره الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾، المائدة، آية (٧٥). فهو إنسان يطرأ عليه ما يطرأ على أمثاله من البشر بكل ما يعنيه ذلك من حاجة للطعام وإخراجه، ومن كانت هذه

---

(١) التفسير الكبير (٨٢/٧)، وانظر: اللباب لابن عادل الدمشقي (٢٧٩/٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٦١/٣).



صفته وحاله فلا شك في أنه مخلوق مربوب. وقد جعله الله آية للعالمين ومثلاً لبني إسرائيل كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ المؤمنون، آية(٥٠)، وقال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾، الزخرف، آية (٥٩)، فمحكم القرآن يدل على أن عيسى عليه السلام إنسان مخلوق، خلقه الله سبحانه وتعالى كما شاء واقتضته حكمته، وليس خلقه بأعظم من خلق آدم عليه السلام: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، يس، آية (٨٢)، (والله سبحانه وتعالى قد نوع خلق آدم وبنيه؛ إظهاراً لقدرته وأنه يفعل ما يشاء، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجه حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عبده المسيح من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر النوع من ذكر وأنثى)[(١)].

وقد جاء في الأناجيل الحالية ما يدل على بشرية عيسى عليه السلام فقد جاء في إنجيل يوحنا فيما ينسب إلى عيسى عليه السلام قوله: "**ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله**"[(٢)].

فعيسى عليه السلام في هذا النص يبين أنه إنسان رسول يدعو ويبلغ بما أوحاه الله إليه، وكفى بذلك دليلاً على بشريته وعبوديته.

قال ابن حزم في تعليقه على ما جاء في الإنجيل: "**فهذا إقراره بأنه رجل يؤدي ما سمع فقط**"[(٣)].

وجاء أيضاً في إنجيل يوحنا قولهم لرجل أعمى أبصر بإذن الله على يد عيسى: "**فقالوا له كيف انفتحت عيناك، أجاب ذاك، وقال: إنسان يقال له**

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم (١٤٨).

(٢) يوحنا (٨/٣٩-٤٠).

(٣) الفصل في الملل والنحل (٢/١٩٦).



يسوع"[١]، وفي لوقا قال: **"ينبغي لي أن أبشر الناس بملكوت الله، لأني بعثت"**[٢]، فدل على أنه نبي مبعوث.

ولذلك يقول القرافي في تعليقه على الآية ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾: **"ومن العجب أنهم يحتجون على ضلالهم بأن الذي ألجأهم إلى أنه ابن الله ـ تعالى الله عما يقولون ـ كونه خلق من غير أب من البشر، فيتعين أن يكون أبوه هو الله تعالى، وآدم أولى منه بذلك لكونه خلق من غير أب، ولم يباشر الأرحام، ولا سقم الأطفال، ولا تطور في أطوار البشر، وكم في العالم من الحيوان خلقها الله تعالى من غير أب، ولقد بلغني أن بعض رسل المسلمين ناظر النصارى بصقلية[٣] لأن الأبنارور[٤] آثر ذلك لما قدم عليه رسول المسلمين فجمع أعيانهم له فقطعهم بقدح من الفول السوس فكان يخرج لهم الفولة فيخرج سوستها، ويقول: أين أبو هذه؟، ثم يخرج أخرى فيقول: أين أبو هذه؟، فبهتوا لعنهم الله"**[٥].

ويقول الجاحظ: **"وإذا كان المسيح إنما صار ابن الله لأن الله خلقه من غير ذكر، فآدم وحواء إذا كانا من غير ذكر وأنثى أحق بذلك إن كانت العلة في اتخاذه ولداً أنه خلقه من غير ذكر"**[٦].

---

(١) يوحنا (٩/١٠-١١، و٩/١٦).

(٢) لوقا (٤/٤٣).

(٣) مدينة من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، تقع في جنوب إيطاليا، وتعرف بجزيرة صقلية، وكانت فيها إمارة مسلمة، حيث فتحت في أيام بني الأغلب على يد أسد بن الفرات سنة ٢٦٣هـ، انظر: معجم البلدان للحموي (٣/٤١٧).

(٤) جاء في قاموس الكتاب المقدس (١٦-١٧) أبنير معناه"أبي نور" أو"الأب نور"، وهو رمز لعدة إطلاقات منها: الرئيس المحترم، كما يطلق على المتقدمين في السن والمقام.

(٥) الأجوبة الفاخرة (٢٩١-٢٩٢).

(٦) المختار في الرد على النصارى (١١٦).



وبهذا يتضح للقارئ دلالة الآية على بطلان زعم النصارى أن المسيح ابن الله.

دلالة الآية على بطلان زعم النصارى الألوهية للمسيح عليه السلام:

من أعظم الشبه التي بنى عليها النصارى قواعد دينهم كون المسيح عليه السلام ولد من غير أب، فزعموا أنه ابن الله الوحيد، وأنه رب العالمين وإله الخلق أجمعين، وقد كفرهم الله سبحانه وتعالى بهذه المقولة فقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ المائدة، الآية (١٧)، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، التوبة، الآية (٣١).

ولذلك لما جاء وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ قالوا عن عيسى عليه السلام: "**هل رأيت قط إنساناً من غير أب؟**"، **فرد الله عليهم قائلاً**: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾. فهذه الآية فيها الدليل القاطع والرد الواضح على أن حال عيسى عليه السلام كحال آدم عليه السلام، وليس خلق عيسى بأعجب من خلق آدم، وقد أخذ العلماء من هذه الآية أصلاً وقاعدةً من قواعد الرد[1] على النصارى في هذه الشبهة، وفي ذلك يقول القاضي أبو الوليد الباجي: "**وإن الله خلق عيسى عليه السلام من غير أب كما خلق آدم عليه السلام من غير أب، وقد حملت بعيسى أم، ولم تحمل بآدم أنثى ولا ذكر، فإذا لم يكن آدم إلهاً وهو الأب الأول بل مخلوق فعيسى أولى ألا يكون إلهاً وهو من ذرية آدم**

(١) انظر: قواعد الرد على النصارى (٣٧٣).



ووالده، بل هو عبد مربوب"[(١)].

ويقول عبد الله الترجمان: "**فإن قلتم إنما جعلناه إلهاً لعجب مولده وكونه من غير أب فليس ذلك بأعجب من كون آدم خلق من غير أب ولا أم، ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد ولا والدة ولا طينة ولا مادة**[(٢)]**، ولا يسمى شيء من الملائكة وآدم آلهة، وأنتم تمنعون من ذلك، فأخبرونا بالفرق بينهم وبين عيسى وهم في حكمة الإيجاد أعجب منه"**[(٣)].

ويقول ابن القيم: "**وإن قلتم إنما استدللنا على كونه إلهاً بأنه لم يولد من البشر، ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر، فإن كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلهاً منه، لأنه لا أم له ولا أب، والمسيح له أم"**[(٤)].

قال السعدي: "**فإن الشبهة التي عرضت لمن اتخذه إلهاً، شبهة باطلة، فلو كان لها وجه صحيح، لكان آدم أحق منه، فإنه خلق من دون أم ولا أب، ومع ذلك، فاتفق البشر كلهم على أنه عبد من عباد الله، فدعوى إلهية عيسى، بكونه خلق من أم بلا أب، دعوى من أبطل الدعاوى، وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه، أن عيسى كما قال عن نفسه:** ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾المائدة، الآية: (١١٧)"[(٥)].

---

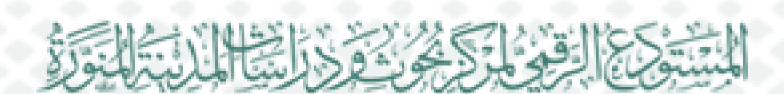
(١) جواب الباجي (٦٦).

(٢) الذي ورد أن الملائكة خلقوا من نور، كما جاء في الحديث الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"، صحيح مسلم (٢٢٩٤/٤)، حديث (٢٩٩٦)، والأولى الاقتصار على ما ورد، وانظر في ذلك معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، د/محمد العقيل (٢١-٢٦).

(٣) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (١٥٢-١٥٣).

(٤) هداية الحيارى (١٤٨).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٣٨٧/١).



فكما أن آدم عليه السلام ليس إلهاً فكذلك عيسى عليه السلام ليس إلهاً، فحكم الشيء حكم نظيره، والعقل يأبى التفريق بين المتماثلين، وفي ذلك يقول ابن القيم: "**وقد فطر الله سبحانه عباده على أن حكم النظير حكم نظيره، وحكم الشيء حكم مثله، وعلى إنكار التفريق بين المتماثلين، وعلى إنكار الجمع بين المختلفين، والعقل والميزان الذي أنزله الله سبحانه شرعاً وقدراً يأبى ذلك**"(١). وبهذا يتبين أن هذه الآية ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ ناقضة لبنيان دعوى ألوهية المسيح عليه السلام، بل هناك شواهد لا تزال موجودة في الكتاب المقدس عند النصارى على أن التوحيد هو ما دعا إليه المسيح عليه السلام وبراءته من الألوهية المزعومة، منها:

- ما جاء في إنجيل مرقص: "**فأجاب "أي السائل" يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد**"(٢).

- وجاء فيه أيضاً: "**لتعلم أن الرب هو الله، وليس غيره**"(٣).

- وفي إنجيل يوحنا: "**وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته**"(٤).

- وفي إنجيل برنابا أنه قال: "**إنكم لقد ضللتم ضلالاً عظيماً أيها الإسرائيليون لأنكم دعوتموني إلهكم وأنا إنسان**"(٥).

- وجاء في إنجيل متى أنه قال: "**للثعالب كهوف، وللطير أوكار، وليس لابن الإنسان حيث يرمي برأسه**"(٦).

---

(١) إعلام الموقعين (١/١٩٦).

(٢) إنجيل مرقص (١٢/٢٩).

(٣) إنجيل مرقص (١٢/١٩).

(٤) إنجيل يوحنا (١٧/٣، ١٧/١٥-١٨).

(٥) إنجيل برنابا (٩٣/٢).

(٦) إنجيل متى (٨/٢٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال ابن الأنباري في تعليقه على هذا النص: "**يعني نفسه، فصح أنه ابن إنسان، وابن الإنسان بلا شك إنسان مخلوق، عبد الله تعالى، فليس للإلهية فيه مدخل**"[١].

- وجاء في إنجيل لوقا أنه قال: "**ينبغي لي أن أبشر الناس بملكوت الله لأني بعثت**"[٢].

قال ابن حزم في تعليقه على ذلك: "**فدل على أنه نبي مبعوث، ومن المحال والحمق أن يكون إله ابن إنسان، أو أن يكون ابن إله وابن إنسان معاً، أو أن يلد إنسان إلهاً، ما في الحمق والمحال والكفر أكثر من هذا، ونعوذ بالله من الضلال**"[٣].

تضمن الآية براءة المسيح وأمه عليهما السلام من تهمة اليهود:

لما كانت دعوة عيسى عليه السلام لليهود دعوة إلى التوحيد، والأخلاق الفاضلة، وتوجيهاً روحياً تدعوهم إلى أن يقللوا من تكالبهم على المال، فلم يجد قلباً سليماً، ولا تأييداً من اليهود، لذلك ثاروا عليه، وأجمعوا على قتل المسيح عليه السلام، ولكن الله حفظه من كيدهم، ورفعه إليه، وألقى شبهه على غيره فقتلوه وصلبوه، وهم يعتقدون أنهم قتلوا المسيح عليه السلام كما ذكر ذلك عنهم الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ، بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾، النساء، الآيتان:

(١) الداعي للإسلام (٣٨٣).

(٢) إنجيل لوقا (٤/٣٤).

(٣) الفصل في الملل والنحل (٢/٥٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

(١٥٧ - ١٥٨)، بل إنهم لم يكتفوا بذلك فذكروا أمه بالقبيح من القول[١]؛ فرموا مريم عليها السلام بالإفك، ونسبوها إلى يوسف بن يعقوب النجار[٢]، وكانوا يسمونه ابن البغية[٣].

يقول ابن القيم رحمه الله: "**وقد نسبت هذه الأمة الغضبية عيسى ابن مريم إلى أنه ساحر، ولد بغية، ونسبت أمه إلى الفجور**"[٤].

وقد برأ الله مريم مما وصفها به اليهود، وجعل ذلك من البهتان والكذب العظيم؛ فقال ﷻ: ﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴾، النساء، الآية: (١٥٦)، قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: "**وهو ظاهر من الآية: أنهم رموها وابنها بالعظائم، فجعلوها زانية، وقد حملت بولدها من ذلك -زاد بعضهم: وهي حائض[٥]- فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة**"[٦].

ولا تستغرب هذه العقائد من اليهود؛ فقد تنقصوا الأنبياء عليهم السلام، ورموهم بارتكاب كبائر الذنوب، وألصقوا بهم كل رذيلة، وكتابهم الذي بين أيديهم، ويزعمون أنه التوراة يفوح بألوان من المخازي، وينضح بكثير من البهت والأذى الذي عرف به يهود[٧]. وما يبث في القنوات

---

(١) انظر: النصرانية والإسلام للطهطاوي (٢٣١).

(٢) انظر: اللباب في علوم القرآن (٢٨٢/٥)، وانظر: إنجيل متى (١٦/١)، وإنجيل لوقا (٢٣/٣).

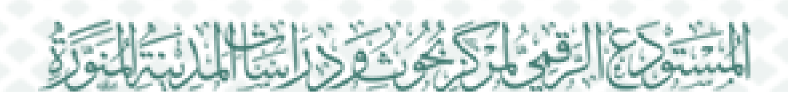
(٣) انظر: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة (٢١).

(٤) إغاثة اللهفان (٣٤٥/٢)، وجاء في بروتوكولات حكماء صهيون: "إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار، وأمه أتت به بمباشرة الزنا"، الكنز المرصود في قواعد التلمود (٢٧).

(٥) جاء في التلمود: "يدعى المسيح ابناً غير شرعي حملته أمه وهي حائض"، انظر: فضح التلمود (٥٧)، إعداد زهدي الفاتح.

(٦) تفسير القرآن العظيم (٧٥٠/١).

(٧) انظر مثلاً: سفر الخروج (١/٣٢-٦)، وسفر الملوك (٤/١١-١٠)، وسفر التكوين (١٨/٩-٢٦، ١٩/٣٠-٣٧)، وسفر صموئيل الثاني (٢/١١-٥، ١٤).



الإسرائيلية اليوم في حق عيسى عليه السلام تأكيد للحقد الدفين، وخبث الطوية، وفساد السيرة والسريرة لدى الصهاينة اليهود تجاه أنبياء الله ورسله عليهم السلام.

ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ ردّ على اليهود الذين وصموا أم عيسى عليه السلام بالسفاح، فإذا كان الله سبحانه قادراً على خلق إنسان من غير أب ولا أم، ومن مادة ليس من شأنها أن يتكون منها إنسان حي، فأولى أن يكون قادراً على خلق إنسان من غير أب، ومن أم هي إنسان يلد ويحيا ويموت، وهي وعاء لحياة الإنسان وهو جنين، فمن آمن بقدرته تعالى في خلقه آدم من تراب، كيف لا يؤمن بقدرته تعالى في خلق عيسى من غير أب[1]. وفيه أيضاً بيان لحقيقة ولادة المسيح عليه السلام إضافة إلى ما حكاه الله عز وجل من طهارتها وعفتها واصطفائها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، آل عمران، الآية: (٤٢).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾، مريم، الآية: (٣٠). وفي ذلك آية على طهر أمه، وتبرئة لها مما نسبت إليه، وطردٌ للظنون والشكوك التي أثيرت حولها، قال ابن كثير: "**قوله: ﴿ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة**"[2]. قلت: وهي تنتظم ضمن الآيات الواردة في حق مريم عليها السلام، وفي قدرة الله عز وجل وأنه لا يعجزه شيء، وأن عيسى عليه السلام وجد بمشيئة الله كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ

(١) انظر: النصرانية والإسلام (١٩٣، ١٩٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٦١/٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كُن فَيَكُونُ ﴾، آل عمران، الآية: (٤٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "**فبين لما تعجبت من الولد أنه سبحانه يخلق ما يشاء؛ إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، فدل ذلك على أن هذا الولد مما يخلقه الله بقوله: كُن فَيَكُونُ**"[١].

وقال أيضاً: "**بل هو مخلوق بكلمة الله، وسمي كلمة؛ لأنه خلق "بكن" من غير الحبَلِ المعتاد، كما قال تعالى:** ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾"[٢].

(والله تبارك وتعالى ذكر هذه الآية في ضمن الآيات التي أنزلها في شأن النصارى لما قدم على النبي ﷺ نصارى نجران وناظروه في المسيح، وأنزل الله فيه ما أنزل، فبين فيه قول الحق الذي اختلفت فيه اليهود والنصارى، فكذَّبَ اللهُ الطائفتين، هؤلاء في غلوهم فيه، وهؤلاء في ذمهم له)[٣].

دلالة الآية على أن التراب أصل مادة خلق الإنسان:

لقد دلت الآية على أن أصل خلق الإنسان من تراب، حيث خلق الله آدم وخلق منه زوجه؛ وهما الأصلان الكليان للإنسان حيث خلق الناس من ذكر وأنثى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ النساء: ١، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾، الحجرات، الآية: (١٣).

---

(١) الفتاوى (٢٠/٤٩٣).

(٢) المصدر السابق (١٧/٢٧٦).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/٢٩٥).



وجاء في الحديث: "**الناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب**"[١].

وفي هذا دليل على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى، وتفرده بالربوبية والألوهية، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾، الروم، الآية: (٢٠).

وإذا كانوا جميعاً من أصل واحد فلا فضل لبعضهم على بعض من جهة النسب إذ الكل فيه سواء، فالتفاضل والشرف في تقوى الله وطاعته، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**"[٢]، وجاء في مسند الإمام أحمد من خطبة النبي ﷺ في أيام التشريق قوله: "**ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**"[٣].

فمدار التفاضل والشرف على التقوى والعمل الصالح، لا على اللون والجنس واللغة، ولذلك جاء التحذير من التفاخر بالأنساب والأحساب، فقد روى ابن عمر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ خطب يوم فتح مكة، فقال: "**يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّية الجاهلية**"[٤] **وتعاظمها بآبائها، الناس رجلان، بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هيّن على الله، والناس بنو**

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في جامعه (٣٨٩/٥، ح ٣٩٥٦)، وقال: "هذا حديث حسن غريب"، وأبو داود في سننه (٣٣١/٤، ح ٥١١٦)، والإمام أحمد مسنده (٣٤٩/١٤، ح ٨٧٣٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٠٨/٣، ح ٢٦٠٨).

(٢) صحيح مسلم (١٩٨٧/٤، ح ٢٥٦٤).

(٣) المسند (٤٧٤/٣٨، ح ٢٣٤٨٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٦/٣): "رجاله رجال الصحيح".

(٤) عبية الجاهلية يعني: كبرها وفخرها، وهي بضم العين المهملة وكسرها، وكسر الموحدة المشددة، وفتح التحتية المشددة، انظر: النهاية لابن الأثير (١٦٩/٣).



آدم، وخلق الله آدم من تراب، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾"(١).

قال ابن القيم: "معناه أن الناس رجلان، مؤمن تقي وهو الخيّر الفاضل وإن لم يكن حسيباً في قومه، وفاجر شقي فهو الدنيّ وإن كان في أهله شريفاً رفيعاً"(٢).

وقال المباركفوري: "إن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي، فإذن لا ينبغي أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي فهو ذليل عند الله، والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر منفي بكل حال"(٣).

يقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾: "فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء، وإنما التفاضل بالأمور الدينية؛ وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ"(٤).

ويقول الشوكاني: "والمقصود من هذا أن الله ﷻ خلقهم كذلك هذه الفائدة؛ أي فائدة التعارف لا للتفاخر بأنسابهم ودعوى أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة، وهذا البطن أشرف من هذا البطن، ثم علل سبحانه ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر فقال: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾، أي أن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن تلبس بها فهو المستحق لأن يكون أكرم ممن لم

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) معالم السنن (١٤٨/٤).

(٣) تحفة الأحوذي (٣١٧/١٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢١٧/٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يتلبس بها وأشرف وأفضل، فدعوا ما أنتم فيه من التفاخر بالأنساب فإن ذلك لا يوجب كرماً ولا يثبت شرفاً ولا يقضي فضلاً"[١].

وكما أن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ زاجر عن التفاخر بالأنساب والتعاظم بالآباء والتطاول بالأحساب، فيها أيضاً رد واضح وبيان قاطع لبطلان دعاوى الذين يزعمون أنهم المختصون بالفضيلة والقداسة دون غيرهم، كحال اليهود المغضوب عليهم، والنصارى الضالين، حين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه كما أخبر عنهم الله ﷻ بقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾المائدة، الآية: (١٨)، وزعمهم أن الجنة لا يدخلها غيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ البقرة، الآية: (١١١)، وأنهم شعب الله المختار، وغير ذلك من دعاواهم الباطلة[٢].

وفيها أيضاً بيان لبطلان دعاوى التمييز الطبقي كما هو موجود عند البرهمية الهندوسية، التي تقسم الناس من حيث أصل خلقهم إلى طبقات، وتخص نفسها بالقداسة دون الآخرين[٣].

وفي الآية رد على دعوى الملاحدة ومن وافقهم أن الإنسان تطور من أدنى الكائنات الحية في سلم التطور حتى وصل إلى صورته الحاضرة[٤]، وغير ذلك من الدعاوى الباطلة.

وأخيراً فالآية تدل على أن دين الإسلام دين العدل والإنصاف، لا نظر

---

(١) فتح القدير (٩٦/٥)، وانظر: أضواء البيان (٦٣٥/٧).

(٢) انظر: اليهود لأحمد شلبي (٢٠٨-٢١٧)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (١٢٢-١٢٣).

(٣) فصول في أديان الهند للأعظمي (٥٥-٦٦)، والموسوعة الميسرة (٧٢٦/٢-٧٢٧).

(٤) انظر: دارون ونظرية التطور (١٦-١٧)، وأصل الأجناس البشرية بين القرآن والعلم (٢٦٤-٢٦٧)، والموسوعة الميسرة (٩٢٥/٢-٩٣٠)، وانظر بطلان ذلك في المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام (٢٣٣-٢٦٨).



فيه إلى الألوان ولا إلى العناصر، ولا إلى الجهات، وإنما المعتبر فيه تقوى الله ﷻ وطاعته، فأكرم الناس وأفضلهم أتقاهم، ولا كرم ولا فضل لغير المتقي، ولو كان رفيع النسب[(١)]، و"**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**"[(٢)].

وما أحسن قول القائل:

لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل[(٣)]

فمن قدم خيراً سيجده، ومن قدم شراً سيحصده: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾، فصلت، الآية: (٤٦).

---

(١) أضواء البيان (٧/٦٣٥).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٧٤، ح ٢٦٩٩).

(٣) ديوان ابن الوردي (٣٢٩).



فهرس المصادر والمراجع

١- أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق الدكتور السيد الجميلي، ط الثانية، دار الكتاب العربي بيروت.

٢- أصل الأجناس البشرية بين العلم والقرآن الكريم، للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، ط الأولى ١٤٠٧هـ، نشر تهامة، جدة.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز ١٤٠٣هـ.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨هـ.

٥- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الملقب بشهاب الدين القرافي، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور بكر زكي عوض، ط الثانية ١٤٠٧هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.

٦- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان، الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، ط الأولى ١٤٢٤هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

٧- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، دقق أصوله وحققه الدكتور أحمد أبو ملحم ومجموعة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨- التفكير الفلسفي في الإسلام، الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، ط الأولى ١٩٧٤م، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت.

٩- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي.

١٠- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط الأولى ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية بيروت.



١١- الداعي إلى الإسلام، لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، دراسة وتحقيق سيد حسين باغجوان، ط الأولى ١٤٠٩هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
١٢- الدر المنثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م.
١٣- السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام.
١٤- الطبقات الكبرى لابن سعد، طبع دار صادر بيروت.
١٥- العجاب في بيان الأسباب "أسباب النزول"، للحافظ أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس، ط الأولى ١٤١٨هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.
١٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت ١٤٠٥هـ.
١٧- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
١٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة بيروت، توزيع مكتبة المعارف، الرياض.
١٩- الكنز المرصود في قواعد التلمود، تأليف الدكتور وهلنج، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله، قدم له مصطفى الزرقا، وحسن ظاظا، دار القلم دمشق، ودار العلوم بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٠- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق وتعليق الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ علي معوض، ط الأولى ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١- المختار في الرد على النصارى، للجاحظ، تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة.



٢٢- المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام، ألطاف الرحمن بن ثناء الله، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إشراف الدكتور سعود الخلف ١٤٢٢- ١٤٢٣هـ.

٢٣- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، ط الأولى ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، إشراف د/ عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط.

٢٤- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت.

٢٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور مانع الجهني، نشر دار الندوة العالمية، ط الرابعة ١٤٢٠هـ، الرياض.

٢٦- النصرانية والإسلام، المستشار محمد عزت الطهطاوي، ط الثانية ١٤٠٧هـ، مكتبة النور للطباعة والنشر، مصر الجديدة.

٢٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي، محمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٨- اليهودية، للدكتور أحمد شلبي، ط السابعة ١٩٨٤هـ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٢٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٠- تاج لعروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للحافظ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، ط الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لأبي محمد عبد الله الترجمان، دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الداعون، ط الأولى ١٤٠٨هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.



٣٣- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط الثانية ١٣٩٨هـ، دار الفكر للطباعة والنشر.

٣٤- تفسير البغوي، المسمى"معالم التنزيل"، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، إعداد وتحقيق خالد العك، مروان سوار، ط الثانية ١٤٠٧هـ، دار المعرفة بيروت.

٣٥- تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٦- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة.

٣٧- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مركز صالح الثقافي بعنيزة ١٤٠٧هـ.

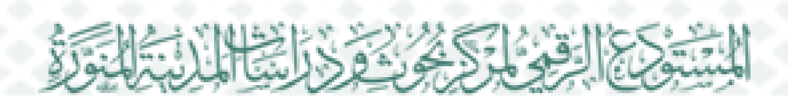
٣٩- دارون ونظرية التطور، لشمس أق بلوت، ترجمة أورخان محمد علي، نشر الدار السعودية بجدة، بالاتفاق مع دار بني آسيا، إستانبول، تركيا ١٤٠٧هـ.

٤٠- دراسات في الأديان (اليهودية، والنصرانية)، للدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف، ط الثالثة، دار أضواء السلف، الرياض.

٤١- رسالة راهب فرنسا للمسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، ط الثانية ١٤٠٧هـ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٤٢- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، ط الأولى ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣- سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، راجعه على



عدة نسخ وضبط أحاديثه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، إستانبول.

٤٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، ط الثالثة ١٤٠٤هـ دار العلم للملايين بيروت.

٤٥- صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٤٦- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن حجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط الثانية ١٩٧٢م.

٤٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، نشر دار المعرفة، بيروت لبنان.

٤٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٤٩- فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية، وعلاقة التصوف بها، للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط الأولى ١٤١٧هـ، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة - بريدة.

٥٠- فضح التلمود، تعاليم الحاخاميين السرية، إعداد زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٥هـ.

٥١- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، صدر عن دار مكتبة العائلة القاهر، وطبع بمطبعة الحرية بيروت، ٢٠٠١هـ، ط الرابعة عشرة.

٥٢- قواعد الرد على النصارى لمحمد عبد الله نور، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، إشراف الدكتور محمد عبد الرحمن أبو سيف.

٥٣- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، طبع دار صادر، بيروت.

٥٤- مجمع الزوائد ومنبع الزوائد، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، ط



الثانية ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي بيروت.
٥٥- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة ١٤١٦هـ.
٥٦- محاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة، ط الرابعة ١٤٠٤هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
٥٧- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، ط الأولى ١٩٦٧م، بيروت.
٥٨- معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام محمد بن محمد الخطابي، ط الثانية ١٤٠١هـ، المكتبة العلمية، بيروت.
٥٩- معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، الدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل، ط الأولى ١٤٢٢هـ، أضواء السلف، الرياض.
٦٠- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية.
٦١- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، طبع في مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٦٢- ديوان ابن الوردي، ط الثانية، النجف الأشراف، بغداد.
٦٣- ديوان عبيد بن الأبرص الأسدي، تحقيق الدكتور حسين نصار ط الأولى ١٣٧٧هـ، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

